واصدا منها ياقوتتان لو سيم مثلها على السلطان لابتاعه بخمسين الف دينار وعلى الآخر قطعة ياقوت ازرق رائق من رقيق
الماء وبريق البهاء وزنها اربعمائة وخمسون مثقالا وخرج من وزن قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة الآف
واربعمائة مثقال وكانت جملة الذهبيات الموجودة على اجرام الاشخاص المنصوبة ثمان وتسعين الفا وثلثمائة
مثقال وزادت الفضيات منها على مائتي قطعة لم يكن وزنها الا بعد التفصيل والوضع على كفف المعايير
وامر السلطان بسائر الاصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت سقوفها مواطئ الاقدام وهرب صاحب
البلد هروب من لا يرى الهزيمة عارا ولا يعتد الفضيحة شنارا وعبر الماء المسمى كنك وهو الذي تتواصف الهنود قدره
وشرفه ويرون من عباد الله في السماء مغترفه ان احرقت منهم ذروه فيه بعظامه وطهرة لآثامه وربما
اتاه الناسك من بعيد فغرق نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه وهو في العاجل يرديه وفي الآجل يعذبه ويخزيه
ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور بالبحر المسجور وفيها
قريب من عشرة الآف بيت للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة منذ مائتي الف سنة الى ثلثمائة الف سنة ففتحها كلها
في يوم واحد ثم اباحها لاهل عسكره بعد ان اذاقهم شبا الرماح وبيض الصفاح واشرب الارض دماءهم
واطعم النسور اشلاءهم وكان سلطان الكفر الجدول يذكر ان اعوانه من كماة المقانب وحماة الاشاهب ورماة
النشاب حتى تراءى عسكر السلطان بين تلك المناقب وآثارهم بالقنا والقواضب والقسي المواطر كالسحاب
فعلم ان ضرب اللاعب بخلاف ضرب الثائر الغالب وقوس الملح غير قوس الناشب وكثر السبي حتى ابيع الواحد
منهم ما بين درهمين الى عشرة دراهم ذلك فضل الله ذكره لايام السلطان يمين الدولة وامين الملة وهو
الملقى له تمام الثواب يوم تمام الحساب والحمد لله خير معبود ومحمود وله الشكر على ما قربه على محمد صلى الله عليه وسلم محمود
وصف المصاف الذي كان بين السلطان محمود وبين ايلك خان فاستجاش احياء الترك من مظانها وحشر
بني خاقان من اقصى بلادها واستنفرها فيمن ماوراء النهر في جيوش تجل عن الحد والحصر وسار في خمسين الفا
او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره المائج وبطشه الهائج معتضدا بقدرخان من اقصى بلادها ملك الختن
ذي العدد والعديد والبأس الشديد والايد المتين والبسطة والتمكين في رجال كالبخاتي والفوالج فوق
البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من
خلق الدروع يحملون جعابا كخراطيم الفيول تحشى بنبال كانياب الغول وخرج السلطان في عساكر
الترك والهند والخلج والافغانية والغزنوية ابناء الجد والصدق وابناء المشق والرشق الى معسكر له وسيع المجال
على الرجال رحب الفضاء على الدهماء وزحف ايلك الى محاذاته في عدد الدهم وعسكر الجم قطارا والرسان
وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلائع امام الوقائع الى ان كفهم حاجز الليل فاصبح الناس على ميعاد الحرب
وعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسخات والجبال الراسيات ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش
نصرا وابا نصر احمد الزيغولي وابا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي في كماة الاكراد والعرب وسائر جماهير

وانشدني ابو الفضل الهمذاني البديع قصيدة يمدحه بها

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ... اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من جون اجوب جيوبه ... كأني في اجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفي الجو حومة ... كواكبها جند طوائرها رسل
كأن مطايانا سماء كأننا ... نجوم على اقتابها برجها الرحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا ... كأنا لها شرب كأن المنى نقل
كأنا جياع والمطي لنا فم ... كأن الفلا زاد كأن السرى اكل
كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع ... وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل
كأنا على ارجوحة في مسيرنا ... لغور بنا تهوي ونجد بنا تعلو
كأن فمي قوس لساني له يد ... مديحي له نزع بر املي نبل
كأن دواتي مطفل حبشية ... بناني لها بعل ونفسي لها نسل
كأن يدي في الطرس غواص لجة ... بها كلمي در وقيمتي تغلو

وفيها يذكر اباه بهمدان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه ووطره

يذكرني قرب الدواة ودليفة ... لدى البيت لا اسليه مال ولا اهل
اذا ورد الحجاج وافى ركابهم ... بنو آدم ريح بها النجل والنجل
يسائلهم عن ابنه كيف داره ... الى ما انتهى لم يبعد بل لم يشغل
اضاقت به حال الطالت له يد ... الاخي نقص افدمه فضل
تقولون وافى حضرة الملك الذي ... له الكنف المأمول والنائل الجزل
وفاضت عليه قطرة خلفية ... لها الفؤاد عز ولا ابنه عزل
يبكرهم بالله الا صدقتم ... لدي احد ما تقولون ام هزل
والما يلوناتلونا عند بحكم ... فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو
كان ابانا اودع المدح الذي ... قصدناه كنزا لم يسعه له بطل
فدى لك من ابناء عصرك من غدا ... ولا قوله علم ولا فعله عدل
ايا ملكا ادنى مناقبه العلى ... واليسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخرا ... سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى ... وان نحن حدثنا بها دفع العقل
فقولا لبوسام المكارم باسمه ... ليهنك انا لم نجد مكرمة غفل

Copyright © King Saud University